الباب الأول

أهل الكتاب
يبدلون دين الله

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول
فى البدء تصحيح المفاهيم

تمثِّل الاصطلاحات ركائز الفكر الإنسانى، وثوابت المعرفة، وأسس التواصل الثقافى بين بنى البشر ؛ فمعانى الاصطلاحات من هذه الجهة تُنَزَّل منْزلة المعايير الَّتى يرجع إليها الإنسان فى الحكم على صحَّة الكلام وسقمه، واطِّراده وشذوذه، وأكثر مشكلات العالم السياسية والثقافيَّة ترجع فى معظمها إلى فهم العبارة فهمًا خاصًّا، وتحميل الكلام فوق ما يحتمل، وقد عرَّف العلماء الاصطلاح تعريفات كثيرة، منها :

- إخراج اللفظ من معنى لغوى إلى آخر لمناسبة بينهما.
- وقيل : اتِّفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى.
- وقيل : إخراج الشىْء عن معنى لغوى إلى معنى آخر لبيان المراد.
- وقيل : لفظ معيَّن بين قوم معيَّنين[1].

وواضح من هذه التعريفات أنَّ الاصطلاح يخضع للعرف، وأنَّه اتِّفاق قوم على تسمية شىْء باسم بعد نقله عن موضوعه الأوَّل لمناسبة بينهما، كالعموم والخصوص، أو لمشاركتهما فى أمر، أو مشابهتهما فى وصف، أو غيرها[2].

ولبيان أهميَّة الاتفاق فى هذه المواصفات يضرب أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن يوسف الخوارزمى (ت ٣٨٧ هـ) أمثلة كثيرة منها :

---

(١) التعريفات ٣٨.

(٢) موسوعة كشَّاف اصطلاحات الفنون ١ / ٢١٢.

إذا ذكرت لفظة " الرَّجْعَة " .

□ فإنَّها عند أصحاب اللغة المرَّة الواحدة من الرجوع، لا يكادون يعرفون غيرها.

□ وهى عند الفقهاء الرجوع فى الطلاق الذى ليس ببائن.

□ وهى عند المتكلِمين ما يزعمه بعض الشيعة من رجوع الإمام بعد موته أو غيبته.

□ وهى عند الكتَّاب حساب يرفعه المعطى فى العسكر لطمع ـ يعنى : راتب ـ واحد.

□ وهى عند المنجِّمين سير الكواكب من الخمسة المتحيِّرة على خلاف نضد البروج [1].

وأحوج الناس إلى معرفة دلالة الاصطلاحات هم العلماء الذين يعرفون أنَّ اللغة آلة لدرك الفضيلة، وتحصيل العلوم، ووضع الأمور فى نصابها ؛ فإذا سمع المسلم لفظ " التوراة " تبادر إلى ذهنه أنَّ الكلمة تحمل إشارة إلى واحد من كتب الله المنَّزلة على رسله، هكذا ورد معنى اللفظ فى القرآن الكريم، فإذا تبيَّن له أنَّ اللفظ يدل على كتاب كتبه كاهن، أو كاتب مجهول من البشر تحرَّج من تسمية هذا الكتاب باسم " التوراة "، ولا بدَّ للإنسان من أنْ يسمِّى الأشياء بأسمائها ؛ لتستقيم المفاهيم، وتتضح الحقيقة، وينكشف الزيف والخداع.

من أجل ذلك نبدأ دراستنا هذه ـ وعلى بركة الله ـ بمحاولة وضع مصطلحات جديدة تعبِّر عن الحقيقة فى مقابل تلك المصطلحات الزائفة، وبيان الأسباب الَّتى استوجبت هذا التغيير.

الدين والرسالة : يخلط الدارسون بين مفهومى " الدين والرسالة " :

أمَّا الدين السَّماوى ـ بمعنى : ما شرعه الله تعالى على لسان الأنبياء لتبيان أنواع

---

(١) مفاتيح العلوم ٦٢.

الطاعات، والعبادات، والأحكام، والأخلاق ـ فهو دين واحد، وقد جرت عادة الباحثين أنْ يجمعوا " دين الله "، فيقولوا : الأديان السماوية، أو أديان السماء، أو أديان الله.. وفى رأيى أنَّ هذا الجمع لا يصح، فالجمع يعنى ضَمَّ فرد إلى نظرائه ؛ تقول فى جمع كتاب، وكتاب، وكتاب : " كتب"، وكل كتاب من هذه فرد مخالف للآخر، وإنْ كان له نظير فى الجنس، فالفرد الواحد لا يُجْمَع مع نفسه، ودين الله واحد، بَدْءًا من الرسالة الأولى الَّتى جاء بها أبو البشر آدم ﷺ

﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[1]، إلى آخر رسالات السَّماء الَّتى بَلَّغَها رسول الله سيِّدنا محمد بن عبد الله ﷺ ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾[2]، وبها كملت الرسالات، وتمَّت الشريعة، قال تعالى :﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[3].

وكلمة "الأديان" جمعا لم ترد فى كتاب الله أبَدًا ؛ ذلك لأنَّه دين واحد وعقيدة واحدة، قال تعالى :﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[4]، وجوهر الدين واحد، وهو وحدانيّة الله، قال تعالى : ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾[5].

وإذا تأمَّلت قول الله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾[6]، وقوله : ﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ﴾[7] تلاحظ أنَّ الله ﷻ لم يجمع لفظ " إله " لأنَّه إله واحد،

---

(١) سورة البقرة ٢ : ٣٧.
(٢) سورة النساء ٤ : ١٠٥.
(٣) سورة المائدة ٥ : ٣.
(٤) سورة البقرة ٢ : ١٣٢ ـ ١٣٣.
(٥) سورة الأعراف ٧ : ٦٥.
(٦) سورة المائدة ٥ : ٧٣.
(٧) سورة المؤمنون ٢٣ : ٩١.

لا نظير له، وإنْ ذُكِرَ لفظ " آلهة " جمع " إله " فى القرآن الكريم فالمراد بها الأوثان، والوثن له نظراء، وبالقياس على التعبير القرآنى فى كلمة " إله " لا يصح أنْ يُجْمَع " دين الله " لأنَّه دين واحد، لا نظير له.

وهذا الدِّين الواحد الَّذى ارتضاه الله لعباده هو " الإسلام "، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[1]، وقال تعالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[2]، ولا نكاد نجد نبيا من أنبياء الله تعالى جاء ذكره فى القرآن الكريم إلاَّ وقد : " أسلم وجهه لله "، ودعا أتباعه إلى أنْ يقولوا :" أسلمت لله رب العالمين"، ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾[3]، ثمَّ أصبح الإسلام عَلَمًا خاصَّة على رسالة محمد بن عبد الله ﷺ.

فالإسلام الَّذى دان به الأنبياء جميعا هو إسلام الوجه لله، أى التسليم لله فى جميع الأمور، ما صَغُرَ منها وما كبر، ومن الذين بيَّنوا معنى الإسلام من الناحية اللغوية البحتة ابن الأنبارى[4] قال: "المسلم معناه المخلص لله فى عبادته، من قولهم: سلم الشىء لفلان خلص له، فالإسلام معناه إخلاص الدين والعقيدة لله تعالى"[5].

وقال رسول الله ﷺ : ﴿ أَنْ يَسْلَمَ لله قَلْبُكَ، وَأَنْ يَسْلَمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِكَ وَيَدِكَ ﴾[6].

---

(١) سورة آل عمران ٣ : ١٩.

(٢) سورة آل عمران ٣ : ٨٥.

(٣) سورة آل عمران ٣ : ٨٣.

(٤) أبو بكر، محمد بن القاسم بن محمد بن بشَّار، الأنبارى (٢٧١ ـ ٣٢٨ هـ) من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة، كان يحفظ ثلثمائة ألف شاهد فى القرآن الكريم، أشهر مؤلفاته : الزاهر فى اللغة، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليَّات، والأضداد... مولده فى الأنبار، ووفاته فى بغداد. انظر : سير أعلام النبلاء ١٥ / ٢٧٤، والإعلام بوفيات الأعلام ١ / ٢٢٦، والأعلام ٦ / ٣٣٤، ومعجم المؤلفين ١١ / ١٤٣.

(٥) انظر : فى رحاب الأنبياء والرسل ٩٩.

(٦) هكذا روى الحديث الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود فى المصدر السابق، والَّذى وجدته فى كتب الحديث " أَشْرفُ الإِسْلامِ أنْ يَسْلَمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِكَ وَيَدِكَ " انظر : مجمع الزوائد ١ / ٦٠.

والإسلام بهذا المعنى لا يختص بمكان معيَّن، ولا يشير إلى بيئة معينة، ولا إلى شخص معيَّن، ولا إلى زمن معيَّن ؛ فإسلام الوجه لله هو دين الملائكة، ودين الأنبياء، وهو دين الله الَّذى لا دين غيره ؛ ومن أجل ذلك كانت كلمة إسلام وكلمة دين بمعنى واحد[1].

وأمَّا " الرسالة " فهى بلاغ إلى الناس، يُكَلِّفُ الله ﷻ بها نبيًّا من أنبيائه أو رسولا من رسله ؛ ولهذا جاءت جمعا فى القرآن الكريم، فالله ﷻ وصف أنبياءه بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾[2].

وبناءً على التفرقة بين كلمتى الدين والرسالة فمن الخطأ القول :

الحنيفيَّة دين إبراهيم، و(اليهوديَّة) دين موسى، والنصرانيَّة دين عيسى والإسلام دين محمد

والصواب أنْ يقال : الحنيفيَّة رسالة إبراهيم أو ملَّة إبراهيم، و(اليهوديَّة) رسالة موسى، والنصرانيَّة رسالة عيسى، والإسلام رسالة محمد

التوراة والأسفار : من المؤكَّد أنَّ التوراة ليست هى الأسفار اليهودية، ولا توجد صلة بينهما من قريب أو من بعيد، ولا يحل لمن يؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله أنْ يطلق على أسفار اليهود لفظ " التوراة "، وذلك للأسباب الآتية :

١ ـ التوراة كلام الله ﷻ، والأسفار من تأليف أحبار اليهود، يقول هنرى عبود : " كتاب العهد القديم العبرانى المعتمد رسميا مأخوذ من النسخة المصورة الَّتى أعدتها جماعة من علماء اليهود فى طبرية اعتبارا من القرن السادس وإلى القرن الثانى عشر الميلادى "[3].

ومن السخف الزعم بأنَّ كلام البشر هو كلام الله، وأنَّ الأحبار والرهبان هم

---

(١) فى رحاب الأنبياء والرسل ٩٩.

(٢) سورة الأحزاب ٣٣ : ٣٩.

(٣) معجم الحضارات الساميَّة ٦٢٦.

الله، وكافر من يجارى اليهود فى كذبهم هذا، أو ينخدع بعقيدتهم وقولهم، قال الله تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[1].

٢ ـ أنْزِلَت التوراة على سيدنا موسى عليه السلام، وعلى النبيين من بعده، قال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[2]، وأسفارهم مجموعة أساطير وقصص منقولة من الثقافات : السومريَّة، والبابلية، والكنعانيَّة، والمصريَّة، واليونانية.

وما أنْزِلَت هذه الأسفار على أحد من النبيين، ولا أوحى الله بها إلى أحد من الأتقياء، وكُتِبَتْ فى فترات متعددة على مدار سبعة عشر قرنًا، وقد بدءوا فى كتابتها بعد وفاة موسى بثمانية قرون، ولم تظهر اللغة العبرية كلهجة آراميَّة إلاَّ بعد دخول قوم موسى إلى فلسطين بأكثر من ٦٠٠ سنة، واستقرارهم فى منطقة اليهوديَّة جنوبى فلسطين، ثم نسبوا إليها[3].

٣ ـ لغة التوراة المصرية القديمة، ولغة الأسفار اليهودية الآرامية، وترجمت فيما بعد إلى اليونانية أولاً، ثمَّ إلى العبرية.

٤ ـ مضمون التوراة هو دين الله فى جميع الرسالات : دعوة إلى وحدانية الله، وتذكير باليوم الآخر، وتمجيد لأنبياء الله، كما تتضمن عظات وشريعة سماوية، وأسفارهم تخلو من أكثر تلك المعانى السامية التى تخلَّص منها اليهود، وكتبوا غيرها بحسب أهوائهم.

٥ ـ أين التوراة ؟ قال جان ملتر : " اتَّفق أهل العلم على أنَّ نسخة التوراة

---

(١) سورة التوبة ٩ : ٣١.

(٢) سورة المائدة ٥ : ٤٤.

(٣) العرب واليهود ٦٩ ـ ٧٠.

الأصلية ـ وكذا نسخ كتب الأسفار الأصلية ضاعت من أيدى عسكر بختنصَّر، ولمَّا ظهرت نقول " عِزْرَا " ضاعت تلك النقول أيضا فى حادثة أنتيوكس.. لمَّا فتح أنتيوكس ملك ملوك الفرنج أورشليم أحرق جميع نسخ كتب العهد العتيق، وأمر بقتل كل من يوجد عنده نسخة من كتب العهد القديم وكانت هذه الحادثة قبل ميلاد المسيح بأكثر من مائة سنة، وهذه الحادثة مفصَّلة فى تاريخ اليهود وتاريخ يوسيفوس، وزالت تمامًا كل آثار التوراة الموسويَّة، مما دفع أحبار اليهود إلى كتابة أسفار جديدة عوضًا عن أسفارهم الزائلة "[1].

أوجه الخلاف بين التوراة والأسفار اليهودية

وجه المقارنة	التوراة	الأسفار اليهودية
الزمن	نزلت الألواح دفعة واحدة فى القرن ١٣ ق.م	كتبت فى ١٨ قرنا من ٦ ق.م إلى ١٢م
المكان	سيناء	بابل، وأورشليم، وطبرية، وغيرها
اللغة	المصرية القديمة	الآرامية ـ اليونانية ـ العبرية
المصدر	كلام الله تعالى مكتوبا فى الألواح	أحبار اليهود وحاخاماتهم وأنبياؤهم
المكلف بها	نبى الله موسى عليه السلام	لا أحد
المضمون	تنْزيه الله تعالى، ووحدانيته وتكريم أنبيائه، وتذكير بالبعث وبالفضائل.	تشخيص الله تعالى فى صورة مخلوقاته، وتبديل كلامه، واستهزاء بأنبيائه ورسله.

وأمَّا إطلاق مصطلح "الأسفار اليهوديَّة" بدلاً من " التوراة " فهو اختيار الله ﷻ فقد جاء فى القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[2] فالله ﷻ بيَّن أنَّ اليهود الَّذين نبذوا التوراة، وحرَّفوها، ولم يتحمَّلوها أصبح مَثَلُهُم ومَثَلُهَا كالحمار الَّذى يحمل أسفارا.

---

(١) العرب واليهود فى التاريخ.

(٢) سورة الجمعة ٦٢ : ٥.

الإنجيل والبشرى : من المؤكَّد أنَّ الإنجيل ليس هو البشرى، ولا توجد صلة بينهما من قريب أو من بعيد، ولا يحل لمن يؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله أنْ يطلق على بشائر المسيحيين لفظ " الإنجيل " ؛ فقد بدأ المسيحيُّون كتابة عهدهم الجديد بعد وفاة سيِّدنا عيسى عليه السلام بسنوات، وبلغة غير اللغة الَّتى علَّم بها عيسى حواريِّيه وتلاميذه، وماتت اللغة الَّتى نزل بها الإنجيل، وبدَّل المسيحيُّون بتعاليمه ونصائحه تعاليم شاول اليهودى ونصائحه، وانقطعت الصِّلة بين الإنجيل والبشائر تمامًا ؛ فلا يصحُّ أنْ تسمَّى البشائر المسيحيَّة إنجيلاً، وذلك للأسباب الآتية :

١ ـ الإنجيل كلام الله ﷻ، والبشائر من تأليف أحبار المسيحيين والقسيسين، وجميعهم مجهولون، يقول رحمة الله الهندى[١] : " لا بُدَّ لكون الكتاب سماويًّا واجب التسليم به أنْ يثبت أوَّلاً بدليل تام أنَّ هذا الكتاب كُتِبَ بواسطة النبىِّ الفلانى، ووَصَلَ بعد ذلك إلينا بالسند المتصِّل بلا تغيير ولا تبديل، والاستناد إلى شخص ذى إلهام بمجرَّد الظنِّ والوهم لا يكفى فى إثبات أنَّه من تصنيف ذلك الشخص، وكذلك مجرَّد ادِّعاء فرقة أو فرق لا يكفى فيه "[٢].

ونحن نعلم أنَّ المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام رفعه الله إليه ولم يترك وراءه كلمة واحدة مكتوبة من الإنجيل المنَّزل عليه، وإذا أخذنا بأقوال اللاهوتيين المسيحيين فى تقديمهم لبشائرهم فإنَّنا لا نتردَّد فى إنكارها جميعًا ونَبْذِهَا، وأبدأ بالنقل من مقدمات ما يدعونه " الكتاب المقدَّس " طبع دار المشرق ببيروت، سنة ١٩٨٨م، وجاء فى مقدمة الكتاب قولهم :

❁ المداخل مأخوذة من الترجمة الفرنسية المسكونيَّة للكتاب المقدس.

❁ والهوامش مأخوذة والحواشى مستوحاة من ترجمة أورشليم الفرنسيَّة للكتاب المقدس[٣].

---

(١) رحمة الله بن خليل الرحمن، الهندى، الحنفى (ت ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٩م) عالم، فقيه، متكلِّم، نزيل الحرمين الشريفين، ومؤسس المدرسة الصولتيَّة بمكَّة المكرَّمة، جاور بها وبها توفِّى، ومن كتبه : إظهار الحق، والتنبيهات فى إثبات الاحتياج إلى البعثة والحشر والميقات. انظ ر : الأعلام ٣ / ١٨، ومعجم المؤلفين ٤ / ١٥٣.

(٢) إظهار الحق ١ / ٦٧.

(٣) الشريعة الخطيَّة ٣٨.

فى مدخل العهد الجديد نقرأ " مهما يكن من أمر، فليس هناك قبل السنة ١٤٠ أىَّ شهادة تثبت أنَّ الناس عرفوا مجموعة من النصوص الإنجيليَّة المكتوبة، ولا يُذْكر أنَّ لمؤلَّفٍ من تلك المؤلَّفات صفة ما يُلْزم، فلم يظهر إلاَّ فى النصف الثانى من القرن الثانى شهادات ازدادت وضوحًا على مرِّ الزمن بأنَّ هناك مجموعة من الأناجيل، وأنَّ لها صفة ما يُلْزم، وقد جرى الاعتراف بتلك الصِّفة على نحو تَدَرُّجِىٍّ "[١].

ولو أنَّ الأمر اقتصر على تأخُّر تسجيل كتابهم المقدَّس بعد وفاة نبيِّهم ـ أو ربِّهم بحسب ما يزعمون ـ لهان الخطب، ولخفَّ الكرب، ولكنَّ الأدهى والأمرَّ من كلِّ ذلك هو قولهم : " بلغنا نص الأسفار السبعة والعشرين[٢] فى عدد كبير من المخطوطات الَّتى أنْشئت فى كثير من مختلف اللغات، وهى محفوظة الآن فى المكتبات، فى طول العالم وعرضه، وليس فى هذه المخطوطات كتاب واحد بخط المؤلف نفسه، بل هى كلُّها نسخ أو نسخ النسخ للكتب الَّتى خطَّتها يد المؤلف نفسه، أو أملاها إملاءً، وجميع أسفار العهد الجديد من غير أنْ يستثنى واحد منها كتب باليونانيَّة[٣].

ومن اليونانيَّة ترجمت هذه البشائر إلى اللغات : السريانية، واللاتينية، والقبطية، ونشأ عن هذه الترجمات، وأخطاء النسَّاخ " وما من واحد منهم معصوم من مختلف الأخطاء الَّتى تَحُولَ دون أنْ تتصف أيَّة نسخة كانت ـ مهما بُذِلَ فيها من جهد ـ بالموافقة التامَّة للمثال الَّذى أُخِذَت عنه، يضاف إلى ذلك أنَّ بعض النسَّاخ حاول أحيانًا ـ عن حسن نيَّة ـ أنْ يصوِّبوا ما جاء فى مثالهم، وبدا لهم أنَّه يحتوى أخطاء واضحة، أو قلَّة دقَّة فى التعبير اللاَّهوتى؛ وهكذا أدخلوا إلى النصِّ قراءات جديدة تكاد أنْ تكون كلَّها خطأ... ما أدخله النسَّاخ من تبديل على مرِّ القرون تراكم بعضه

---

(١) الشريعة الخطيَّة ٩.

(٢) أذكِّركم بأنَّ عدد الأسفار يختلف ما بين الكنائس المسيحيَّة المختلفة ؛ فعدد الأسفار فى نسخة البروتستنت ٦٦ سفرًا (القديم ٣٩، والجديد ٢٧)، وعدد الأسفار فى نسخة الرومان الكاثوليك ٧٣ سفرًا (القديم ٤٦، والجديد ٢٧).

(٣) الشريعة الخطيَّة ١٢.

على بعضه الآخر، فكان النص الَّذى وصل آخر الأمر إلى عهد الطباعة مثقلاً بمختلف ألوان التبديل، ظهرت فى عدد كبير من القراءات "[١].

وفى " مدخل إلى الأناجيل الإزائيَّة "[٢] نقرأ قولهم : " إنَّ القارئ فى عصرنا ـ وهو حريص على الدقَّة، ولا ينفكُّ يبحث عن الأحداث الَّتى تمَّ إثباتها والتحقُّق منها ـ يقع فى حيرة أمام تلك المؤلَّفات الَّتى تبدو له مفكَّكة، يخلو تصميمها من التنسيق، ويستحيل التغلُّب على تناقضاتها، ولا يمكنها أنْ تَرُدَّ على الأسئلة الَّتى تطرح عليها "[٣].

وإذا ما تركنا المقدِّمات، ودخلنا إلى البشائر الَّتى يسمونها الأناجيل القانونيَّة، وأولها الإزائيَّة فماذا يقولون عن مؤلفيها ؟

البشرى الأولى فى الترتيب هى المنسوبة إلى متَّى، فمن متَّى هذا ؟

كان البعض يعتقد أنَّه الرسول متَّى، أحد الحواريين الاثنى عشر، وأنَّه كتب بشارته بالآراميَّة للمؤمنين الذين هم من أصل يهودى، ولكنَّ اللاهوتيين أثبتوا أنَّ البشارة الحالية ليست ترجمة عن أصل آرامى، بل هناك ما يدلُّ على أنَّها دوِّنت باليونانيَّة، وأنَّ متَّى الَّذى كتب البشارة ليس هو الحوارىّ، وإنَّما هو شخص مجهول، جاء فى مقدِّمة بشارته : "فلمَّا كنَّا لا نعرف اسم المؤلِّف معرفة دقيقة، يحسن بنا أنْ نكتفى ببعض الملامح المرسومة فى الإنجيل نفسه، فالمؤلِّف يُعْرَفُ من عمله ؛ فهو طويل الباع فى علم الكتاب المقدَّس والتقاليد اليهوديَّة، يعرف رؤساء شعبه الدينيين، ويوقِّرهم، بل يناديهم بقساوة، بارع فى فن التعليم وتقريب يسوع إلى سامعيه، يشدِّد على ما فى تعليمه من نتائج عمليَّة، فجميع هذه الصفات توافق صفات يهودى، مثقَّف، أصبح مسيحيًّا، و" رُبَّ بيت يُخْرِجُ من كنْزِه كُلَّ جديد وقديم "[٤].

---

(١) الشريعة الخطيَّة ١٣.

(٢) يطلق مصطلح " الأناجيل الإزائيَّة Synoptic Gospels " على ثلاثة فقط من أربعة الأناجيل القانونيَّة الَّتى اعتمدتها الكنيسة، وهى إنجيل : متَّى، ومرقس، ولوقا.

(٣) الشريعة الخطيَّة ٢٥، وإظهار الحق ١ / ٩٤.

(٤) نفسه ٣٥.

قرأت هذه المقدِّمة، وخرجت منها بنتيجتين اثنتين فقط، هما :

۞ متَّى كاتب هذه البشارة شخص مجهول، لا يعرف عنه أحد شيئًا.

۞ الصفات المذكورة لليهودى المثقف تصلح وصفًا لأىِّ شخص تنطبق عليه تلك الصفات، ولا علاقة لها بمن كتب البشارة، ولا يلزم من وجودها فى شخص أنْ يكتب بشارة، كما لا يلزم ممن يكتب بشارة أنْ يتحلَّى بكل تلك الصِّفات.

البشرى الثانية فى الترتيب هى المنسوبة إلى مَرْقُس، فمن يكون مَرْقُس هذا ؟

أوَّل ما يَفْجَؤُنَا فى أمره أنَّهم لا يعرفون اسمه ؛ فكانوا يعتقدون أنَّه يوحنَّا مَرْقُس المولود فى أورشليم، ورفيق بولس وبرنابا، ثمَّ رفيق بطرس فى رومه على الأرجح، وأنَّه كتب بشارته فى نحو سنة ١٥٠، فى رومه بعد وفاة بطرس، أو قبل وفاته، فلا أحد يعلم[١]، ومعنى ذلك أنَّ ما جاء فى تلك البشارة لا يمكن التحقق من صحَّته ؛ لأنَّ مرقس لم يكن من حوارىِّ المسيح، ولم يكن شاهد عِيَان لما يرويه، وتلمذته لبطرس الحوارىّ مشكوك فيها أيضا.

وزعم اللاهوتيُّون أنَّ بشارة مرقس هى الأصل[٢] الَّذى نَقَلَ عنه كُلٌّ من متَّى ولوقا، ولا أعرف كيف ينقل متَّى الحوارى ـ بزعمهم ـ وشاهد العيان عمَّن لا رأى ولا سمع ؟

البشرى الثالثة فى الترتيب هى المنسوبة إلى لوقا، فمن يكون لوقا هذا ؟

يقال : إنَّه طبيب، لازم بولس، وأخذ عنه، وكفاه تلك مذمَّة، بل إنَّ دائرة المعارف الفرنسيَّة ذكرت أنَّ (إنجيلَىْ) يوحنَّا ومرقس هما من وضع بولس اليهودى[٣]، وعلى هذا فلن نقف عنده كثيراً ؛ لأنَّه لا يستحق الوقوف عنده.

---

(١) الشريعة الخطيَّة ١٢٣، وإظهار الحق ١ / ٩٥.

(٢) نفسه ١٢٤.

(٣) " الله فى العقيدة المسيحيَّة " مكتب ديدات، المجموعة الثانية ٢١٣، وانظر مقدِّمة إنجيل برنابا للدكتور خليل سعادة ٣٢،، وإظهار الحق ١ / ٩٥.

البشرى الرابعة والأخيرة[1] فى الترتيب هى المنسوبة إلى يوحنَّا، فمن يكون يوحنَّا هذا ؟

لا أحد يعرف من يكون يوحنَّا ؟ البعض يوحِّد بينه وبين الحوارى يوحنا ـ أحد ابنى زبدى ـ ولكن ما لاحظه اللاهوتيُّون من نقص فى العمل، وتفكك فى الأسلوب، وبعض الفقرات غير متصلة

بسياق الكلام " يجرى كلُّ شىْء وكأنَّ المؤلف لم يشعر قط بأنَّه وصل إلى

النهاية، وفى ذلك تعليل لما فى الفقرات من قلة ترتيب، فمن الراجح أنَّ الإنجيل ـ كما هو بين أيدينا ـ أصدره بعض تلاميذ المؤلِّف ؛ فأضافوا عليه الفصل ٢١، ولا شكَّ أنَّهم أضافوا أيضًا بعض التعليق... أمَّا رواية المرأة الزانية (٧ / ٥٣ ـ ٨ / ١١) فهناك إجماع على أنَّها من مرجع مجهول، فأُدْخِلَت فى زمن لاحق (وهى مع ذلك جزء من " قانون " الكتاب المقدَّس) "[2].

نقلت جزءًا من نصَّ تقديم اللاهوتيين المسيحيين لبشارة يوحنَّا، وهى واضحة وضوح الشمس، والتعليق عليها يفسد ما فيها من اعتراف بجهلهم بمصادر دينهم، وما دَخَلَهَا من تحريف، ولا يجب أنْ ننسى ما سبق أنْ ذَكَرَتْه دائرة المعارف الفرنسيَّة من أنَّ هذه البشارة من تأليف شاول اليهودى الَّذى يدعونه زورًا باسم القديس بولس، وأحب أنَّ أنبِّه القارئ الكريم إلى أنَّ المؤرخيِّن المسيحيين يعترفون أنَّ لقب " قدِّيس " كثيرًا ما أطلقته الكنيسة على أفراد لأسباب لا علاقة لها بالدين[3].

ليس موضوعنا هنا دراسة تلك البشائر، وما فيها من تناقض، وخروج عن الدين، ولمن يريد التوسع فى هذا الأمر فليرجع إلى مؤلفات كلٍّ من :

---

(١) اختلف اللاهوتيُّون فى تحديد عدد (الأناجيل) المعروفة لهم، والأرقام المذكورة فى كتبهم تدور حول الأعداد ٥٠، ٧٠، ١٠٠ ولكنَّ الكنيسة لم تعترف إلاَّ بأربعة منها فقط، واستبعدت ما عداها ؛ لأنَّها لا تخدم أغراضها، ولا تتفق مع مبادئها، وأطلقت عليها لقب الأبوكريفا Apocryphe أى : المخفيَّة أو المنحولة.

(٢) الشريعة الخطيَّة ٢٨٦، وإظهار الحق ١ / ٩٦.

(٣) الموسوعة الشاميَّة ٣ / ٨٤.

۞ الداعية الإسلامى المرحوم أحمد ديدات، وبخاصة كتابه " هل الكتاب المقدس كلام الله "[١].

۞ العلاَّمة المرحوم رحمة الله الهندى، وبخاصة كتابه " إظهار الحق ".

صحيح أنَّ العلماء والدعاة الَّذين نذروا جهودهم للدفاع عن عقيدتهم كثير، ولكنَّ هذين الداعيين على الخصوص قد أتيحت لهما فرص نادرة لم تتوفَّر لغيرهما، منها : الاطلاع على :

۞ الطبعات المتعدِّدة من الكتب الدينية، متونها، وشروحها.

۞ كتب الفرق المسيحيَّة المختلفة قديمها، وحديثها.

ومنها :

۞ مناظرة عدد كبير من القسيسين والرهبان فى أمور العقيدة.

۞ مواجهة المسحين الغربيين فى الهند، وفى جنوب أفريقية، والتعرف على أساليبهم فى المراوغة والخداع، وكَشْفَ ما هم عليه من باطل.

۞ الدعوة إلى الإسلام، والدفاع عن تعاليمه.

۞ إتقان اللغتين : العربية والإنجليزيَّة، وإلى جانبهما عدد كبير من اللغات المحليَّة فى آسيا وأفريقية.

اتخذ المسيحيون من البشائر الَّتى كتبها قديسوهم وسمَّوها هم زورًا " الأناجيل " اتَّخذوا مواقف مختلفة :

۞ فالأيبونيُّون Les Ibonites مثلا لا يعترفون إلاَّ بإنجيل متَّى فقط، وفى أصله العبرى، لا النص الموجود حاليًّا[٢].

۞ وكان شاول Saül اليهودى الَّذى عهد إليه اليهود بتخريب الدين المسيحى، وهَدْمِه من الداخل ـ ويسميه المسيحيُّون بولس الرسول ـ ينكر جميع الأناجيل[٣]،

---

(١) منشور فى المجموعة الأولى من مكتبة ديدات ١٨٥ ـ ٢٤٠.

(٢) عقائد النصارى الموحِّدين ٤٢.

(٣) نفسه ٤٨.

وهو الذى تولَّى ابتداع دين جديد للمسيحيين وتأليف أكثر من ثلثى نصوصهم الدينية ؛ فيقولون : إنَّ له عشر رسائل من جملة ثلاث عشرة رسالة، وينسب إليه تأليف بشارتين من بشائرهم القانونيَّة، ونحن نعلم أنَّ إنجيل بَرْنَابَا ـ وبَرْنَابَا هو أحد الحواريين الاثنى عشر، ورسول المسيح ـ أنكرته الكنيسة، وشدَّدت النكير على من يذكره، أو يقرؤه، ويكفى أنْ نقرأ مقدِّمة الإنجيل لنعرف سبب عداء الكنيسة له، فقد جاء فى أوله :

" بَرْنَابَا رسول يسوع الناصرى، المسمَّى " المسيح ؛ يتمنَّى لجميع سكَّان الأرض سلامًا وعزاءً.

أيُّها الأعزَّاء، إنَّ الله العظيم العجيب قد افتقدنا فى هذه الأيَّام الأخيرة بنبيِّه يسوع المسيح، برحمة عظيمة للتعليم والآيات الَّتى اتَّخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى، مبشِّرين بتعليم شديد الكفر، داعين المسيح ابن الله، ورافضين الختان الَّذى أمر به الله دائمًا، مجوِّزين كلَّ لحم نجس، الَّذين ضلَّ فى عدادهم أيضا بولس الَّذى لا أتكلَّم عنه إلاَّ مع الأسى، وهو السبب الَّذى لأجله أسطِّر ذلك الحقَّ الَّذى رأيته وسمعته أثناء معاشرتى ليسوع ؛ لكى تخلصوا، ولا يضلَّكم الشيطان ؛ فتهلكوا فى دينونة الله.

وعليه، فاحذروا كلَّ أحد يبشِّركم بتعليم جديد مضادٍّ لما أكتبه ؛ لتخلصوا خلاصًا أبديًّا.

وليكن الله العظيم معكم، وليحرسكم من الشيطان، ومن كل شرٍّ. آمين[1].

واضح من كلام بَرْنَابَا أنَّ اليهودى شاول هدم جميع أركان رسالة المسيح عليه السلام، بل إنَّه خدع الحوارىّ بطرس، وأوهمه أنَّه مبعوث الرب إلى الأمميين، وأنْ يظلَّ بطرس يكرِّز لخراف بنى إسرائيل، وسيكون لنا حديث فى هذا الأمر عندما نبيِّن أسباب رفضنا لعالميَّة المسيحيَّة.

---

(١) إنجيل برنابا ١٢٥.

٢ ـ أُنْزِلَ الإنجيل على سيدنا عيسى ﷺ، وهذه البشائر لم يأت بها نبى، وإنَّما هى رواية لشهود مجهولين، لم يروا شيئًا ولم يسمعوا كلمة.

٣ ـ لغة الإنجيل الآراميـة، أو السريانيَّة كما يصـرِّ على ذلك أنصار الكنائس الشرقيَّة، ولغة بشائرهم اليونانية، والغريب فى أمر المسيحيين أنَّهم لا يعرفون شيئا عن لغة " ربِّهم " الَّتى كان يتحدَّث بها ؛ يقول واحد من باحثيهم " كثيرة هى الأقاويل الَّتى تناولت ماهيَّة اللغة الَّتى تكلَّم بها المسيح حتَّى أنَّ البعض زعم أنَّ لغة المسيح الأهليَّة كانت اللغة اليونانيَّة ؛ لأنَّها اللغة الغالبة فى فلسطين وسوريَّة، فى ذلك العصر، منذ أن استولى عليها السلوقيُّون ـ خلفاء الإسكندر ذى القرنين ـ ولكن مَنْ كان مطَّلعًا على التاريخ القديم يحكم أنَّ هذا الزعم فاسد، لا صحَّة له، إذْ يعلم أنَّ اللغة التَّى تكلَّم بها المسيح ـ أى اللغة العاميَّة فى أورشليم وسائر فلسطين فى أيَّام المسيح ـ لم تكن اليونانيَّة، ولا العبريَّة، بل السريانيَّة الَّتى يقال لها أيضًا : الآراميَّة، وبعضهم يسمِّيها الكلدانيَّة، وأنَّ العامَّة عند اليهود تسمِّى هذه اللغة السريانيَّة بلفظة " الترجوم " ـ أى : الترجمة ـ وأمَّا فى كنيسهم فتسمَّى الآراميَّة أو السوريَّة، أى : السريانيَّة "[1].

ويبدو أنَّ إطلاق الكلدانيَّة على الآراميَّة كان فى القرنين ٣،٢ ق.م. ؛ وذلك لأنَّها كانت اللهجة الَّتى كتب بها عزرا سفره، ثم كتب بها سفر دانيال (١٦٧ ـ ١٦٦ ق.م.)[2]، وأطلق عليها آراميَّة الكتاب المقدَّس، ثمَّ أصبحت لهجة محليَّة فى فلسطين.

وبهذه المناسبة يجب ألاَّ ننسى أنَّ سفر دانيال هذا لا أصل له، فهو سفر " لم تؤيِّده أيَّة وثيقة معروفة "[3].

ويقول الأستاذ عباس محمود العقاد " ولقد عُرِفَتْ اللغة الَّتى كانت سائدة فى جميع أطراف الجزيرة العربية باسم السريانية غلطًا من اليونان فى التسمية ؛ لأنَّهم

---

(١) المسيحيُّون السوريُّون خلال ألفى عام ٢٨، والسريانية – العربية ٤١.

(٢) معجم الحضارات الساميَّة ٢٠.

(٣) قصة الحضارة ٢ / ٢٦١.

أطلقوا اسم " أسّورية " أو " أشّورية " على الشام الشمالية، فشاعت تسمية العربية باسم السريانية لذلك ".

فالسريانية هى إحدى اللهجات الآرامية الشرقية، ويرى المؤرخون أنَّ الآراميين من أصل واحد مع العرب البائدة، ويرى الشيخ أحمد رضا العاملى أنَّ الآراميين قبائل عربية تحضَّرت بعد هجرتها، وأنَّ العرب هم بدو الآراميين(١).

وخلاصة هذه الآراء أنَّ عباد الله المسيحيين لا يعرفون شيئًا عن لغة " ربِّهم " الَّتى كان يَكْرِزُ بها، ويعلِّم حوارييه، بل إنَّ علماء اللغات أنفسهم لم يتفقوا على اسم اللغة العروبية الأولى الَّتى كانت سائدة فى ذلك الوقت والَّتى كتبت بها بعض أسفار اليهود، والشك قائم فى حقيقة تلك الأسفار الَّتى كتبت بها ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ۝ أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾(٢).

٤ ـ مضمون الإنجيل هو دين الله، الَّذى آمن به جميع الأنبياء، القائم على وحدانيَّة الله، الداعى إلى عبادته وحده، لا شريك له، ولا صاحبة له، ولا ولد، وهو الواحد الفرد الصمد، وبشائرهم انحراف عن التوحيد، وتثليث للإله وشرك به، ويعبدون معه الابن والروح القدس.

٥ ـ أين الإنجيل ؟ كلمة " إنجيل Evangile " مشتقة من الأصل اليونانى "إيفنجيليون euaggelion " ومعناها : الخبر السار، وهى لا تدلُّ فى العهد الجديد على كتاب، بل على " البشرى أو البشارة " الَّتى أعلنها الرسل بأنَّ الخلاص قد تمَّ بيسوع المسيح، إنَّها " بشارة الله "(٣).

---

(١) ظاهرة الإعراب ٢٠، نقلا عن كتاب إبراهيم أبو الأنبياء ٢٠٣.

(٢) سورة النور ٢٤ : ٣٩ ـ ٤٠.

(٣) شرح الإصحاح الأول من بشارة مرقس، العبارة الأولى فى الكتاب المقدس ١٢٦، ويذكر الشيخ أحمد ديدات أنَّ المصطلحات : " الكتاب المقدَّس، العهد القديم، العهد الجديد " لم ترد مطلقا فى كتابهم المقدَّس، فربَّما نسى الرب أنْ يطلق على كتابه اسما.
انظر : هل الكتاب المقدس كلام الله، مكتبة ديدات، المحموعة الثانية ٢١٠.

مات المسيح، ولم يترك وراءه حرفا واحدًا مكتوبًا من تعاليمه، وليس لأتباعه من كتاب مقدَّس إلاَّ الأسفار اليهوديَّة الَّذى عدَّه المسيحيُّون زمنا طويلا كتابهم المقدَّس الأوحد، وسمَّوه " الشريعة والأنبياء " وفقا للاصطلاح اليهودى فى تلك الأيام، وبدأ يظهر العهد الجديد بمظهر مجموعة مؤلفة من سبعة وعشرين سفرًا مختلفة الحجم، وضعت كُلُّها باليونانية ولم تجر العادة بتسميتها إلاَّ فى أواخر القرن الثانى الميلادى[1].

وزعم بعض الباحثين أنَّه كان هناك نسخة أصليَّة من " الإنجيل " هى الإنجيل الرئيس الَّذى كتبه الحواريُّون من بعد المسيح مباشرة، جمعوا فيه أقوال المسيح كلَّها، ووضعوها فى كتاب واحد، ودوَّنوا معها قصَّة حياة المسيح ومعجزاته، وكان لهم مكان معروف فى " قُمْرَان " تجاه أورشليم، أو فى مكان قريب من دمشق، وقيل : إنَّ رهبان قمران ودمشق كانوا جماعة واحدة، وكان ذلك الإنجيل مكتوبا بيد الحواريين متَّى وبرنابا، وكان كل رسول ينسخ منه ما يؤدِّى الغرض فى البلد الذاهب إليه للتبشير فيه، وهذا سبب اختلاف " الأناجيل "[2].

ومعنى ذلك أنَّه ـ فى جميع الحالات ـ لم توجد نسخة من الإنجيل مكتوبة فى زمن المسيح وبإشرافه، بحيث يمكن الرجوع إليها، والثقة فيها، وقد أثيرت فى الفترة الأخيرة قضيَّة رحلة المسيح إلى الهند، وهى قصَّة قديمة، فقد زعم نقولا نوتوفيتش فى كتابه " حياة المسيح المجهولة " الصادر فى سنة ١٨٩٤م : إنَّه سافر إلى الهند، وحلَّ فى دير لاسا وهو من أديار الرهبان البوذيين، وهناك علَّموه اللغة السنسكريتيَّة، وأخبروه أنَّ المسيح زار بلادهم، وهو فى الثانية عشرة من عمره، وأقام بينهم، واقتبس من مبادئهم، وتفقَّه بكل تعاليم بوذا، ولمَّا عاد إلى اليهوديَّة أذاع هذه التعاليم على الشعب، وأطلعوه على إنجيل كتبه السيِّد المسيح بخط يده، بلغتهم، حين زار بلادهم.

---

(١) مدخل إلى العهد الجديد ٧.

(٢) مقدمة إنجيل برنابا ٤٨.

وقال نوتوفيتش : إنَّه نسخ هذا الإنجيل، وعاد به إلى أوديسَّا، وطبعه هناك، ثم سافر إلى فرنسا، ونشره باللغة الفرنسية[1].

ويقول د / فريز صموئيل : بعد ظهور هذا الإنجيل سلَّط عليه النقَّاد أقلامهم، وفنَّدوا ما جاء فيه من مفتريات، وأثبتوا أنَّ نوتوفيتش كذَّاب، ولا أساس لهذا الإنجيل المزعوم[2].

والحقيقة أنَّ هذه المعلومة تتفق مع ما هو معروف حول وجود قبر للسيد المسيح فى بلدة سريناجار فى الهند، أى أنَّه عاش، وسافر حتى استقر به المطاف هناك، ورفعه الله إليه عند انتهاء عمره، ولم يقتل، ولم يصلب.. وهو ما تتناوله العديد من الأبحاث منذ كتاب جيرارد ميساديه المعنون : "الرجل الذى أصبح الله !!! "[3].

أوجه الخلاف بين الإنجيل والبشرى

وجه المقارنة	الإنجيل	البشرى
الزمن	نزل الإنجيل على سيِّدنا عيسى عليه السلام فى مدَّة ٣ سنوات فى القرن ١ م.	كتبت البشائر خلال القرنين الثانى والثالث الميلاديين.
المكان	الجليل والقدس	أماكن غير محدَّدة ومنها : أنطاكية وروميه وفلسطين.
اللغة	السريانية	كتبت كلها باليونانية، ثمَّ ترجمت منها إلى السريانية والقبطية واللاتينية.
المصدر	كلام الله تعالى.	أحبار المسيحيين وقسيسيهم
المكلف بها	نبى الله عيسى عليه السلام	لا أحد
المضمون	تنْزيه الله تعالى، ووحدانيته وتكريم أنبيائه، وتذكير بالبعث والفضائل.	تثليث الله تعالى فى صورة أقانيم، وتبديل كلامه، واستهزاء بأنبيائه ورسله.

(١)السنوات المجهولة ١١.
(٢) نفسه ١٢.
(٣) شفرة دافنشى والمؤسسة الكنسيَّة، والسنوات المجهولة ١٥.

الكتاب المقدَّس والآية : عرفنا أنَّ ما يسميه صهاينة اليهود والمسيحيين "الكتاب المقدَّس" بقسميه الجديد والقديم ليس كلام الله المنَزَّل على رسله وإنَّما هو تأليف كهنوتى بشرى، لا علاقة له بوحى السماء، ولا بقداسة العقيدة، وهو كتاب شاهد عليهم بالكفر والزيغ، وباعترافهم هم أنفسهم على ألسنة علمائهم وباحثيهم، ولا نكاد نجد فيه شيئًا واحدًا يمكننا الاطمئنان إليه، والثقة فيه ؛ ولذلك يحرم على المسلم أنْ يصف هذا الكتاب بوصف القداسة ؛ لأنَّ القدُّوس هو الله ﷻ، ولا يوصف بالقداسة إلاَّ كلامه وما هذا الَّذى بين أيدى اليهود والمسيحيين كلام الله فوجب أنْ نختار له اسمًا يدلَّ على حقيقته، ولا يسمه بوسم ليس له، وقد اخترت له اسم " الشريعة الخطيَّة "، وقد جاءت هذه التسمية منهم فى مقدمة الطبعة الكاثوليكية فى بيروت[1].

يحرص الباحثون ـ وأكثرهم من المسلمين مع الأسف الشديد ـ على أنْ يسمِّى العبارات المنقولة من الشريعة الخطيَّة باسم " الآية "، ولا أعرف ما هذه الجرأة على الله ﷻ، وعلى قرآنه الكريم، كتابه المعجز، الَّذى ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[2]، فيسوُّون بين كلام الله وكلام صهاينة اليهود والمسيحيين، ويطلقون على كلامهم ما هو عَلَمٌ على آيات القرآن الكريم، خاصٌّ به، ولا يجوز إطلاقه على غيره، ولا أعرف كيف أنَّهم لا يستحلُّون أنْ يطلقوا كلمة "آيات" على حديث رسول الله ﷺ وهو الصادق الأمين، وكلامه هدى ونور، ومثال للفصاحة والبلاغة ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾[3]، ثمَّ يستحلُّون لأنفسهم أنْ يطلقوا هذه الكلمة المقدَّسة على كلام بشر ملحدين كاذبين، وقد سبق أنَّ بيَّنت فى المقدِّمة أنَّ معجزات الأنبياء ـ غير محمد ﷺ ـ معجزات ماديَّة، ولا علاقة لها بأقوالهم وتعاليم عقيدتهم وأمَّا محمد ﷺ فلا معجزة له إلاَّ القرآن الكريم، وهو كلام الله الَّذى تحدَّى به البشر جميعًا ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن

(١) مقدِّمة الشريعة الخطيَّة ٥٤.
(٢) سورة فصِّلت ٤١ : ٤٢.
(٣) سورة النجم ٥٣ : ٣ ـ ٥.

كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾[1]، وعندما نرجع إلى المعاجم وكتب التفسير نجد معنى الآية كالآتى :

الآية : من التنْزيل ومن آيات القرآن العزيز ؛ قال أبو بكر : سمِّيت الآية من القرآن آية لأنَّها علامة لانقطاع كلام من كلام، ويقال : سُمِّيت الآية آية لأنَّها جماعة من حروف القرآن، وآيات الله : عجائبه، وقال ابن حمزة : الآية من القرآن كأنَّها العلامة الَّتى يفضى منهالا إلى غيرها كأعلام الطريق المنصوبة للهداية[2].

ويقول الحافظ ابن كثير : " سُمِّيت آية لأنَّها عجب يعجز البشر عن التكلُّم بمثلها "[3].

ومن هنا ندرك خطأ إطلاق كلمة " آية " على ما جاء فى الشريعة الخطيَّة بقسميها، ولنختر لها لفظًا آخر، وليكن " مقولة " مثلا.

الأنصار والنصرانيَّة والمسيحيَّة : يفرِّق القرآن الكريم بين كلمتى : " أنصار ونصارى"، فالأنصار فى الإسلام هم أهل المدينة المنوَّرة الَّذين آووا رسول الله ﷺ والمهاجرين، ونصروهم، وجاهدوا معهم، والأنصار فى النصرانية هم حواريُّو المسيح، وتلاميذه، وأحبابه، وأتباعه، قال تعالى :﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[4].

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴾[5]؛

---

(١) سورة البقرة ٢ : ٢٣ ـ ٢٤.
(٢) لسان العرب " أيى " ١٤ / ٦٢.
(٣) مختصر تفسير ابن كثير ١ / ١٤.
(٤) سورة آل عمران ٣ : ٥٢.
(٥) سورة الصف ٦١ : ١٤.

فالأنصار إذن هم جنود الله، وأعوان رسله، وهم صادقو الإيمان، صحيحو العقيدة.

وأمَّا النصارى فهم معتنقو النصرانيَّة وهى فى الأصل رسالة سيِّدنا عيسى عليه السلام السماويَّة، والمكلَّف بها من الله خالق السموات والأرض، والمبعوث بها إلى خراف بنى إسرائيل لهدايتهم، ودعوتهم إلى عبادة الله الواحد الأحد، وترك ما هم فيه من الضلال والفساد، ولكنهم خالفوا تعاليمها، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾[1].

وترجع تسمية هذه الرسالة بالنصرانية إلى مصدرين:

۞ قال السهيلى: سُمُّوا بذلك انتسابا إلى قرية يقال لها نصران[2].

۞ وإمَّا أنَّها لفظ معرَّب من أصل سريانى، هو " نصرويو nasroyo، أو نصرايا nasraya "، وأطلق على أتباع المسيح من الأمميين[3].

والنصرانية كراسالة سماويَّة شُوِّهت، وقضى عليها تماما فى مجمع نيقية الكنسى فى سنة ٣٢٥م بعد أنْ ألَّه المجتمعون فيه المسيح عيسى بن مريم، وعبدوه كإله من دون الله ـ أو كابن لله وشريك له فى ملكه بزعمهم، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرا، وتنزَّه عن الشريك والولد ـ ومنذ ذلك الوقت نُسِبُوا إليه فيقال لهم: المسيحيُّون؛ لأنَّهم عبدة المسيح ومن هنا ندرك الاتفاق بين النصرانية والمسيحيَّة:

فالنصرانية رسالة سماويَّة، نبيها سيِّدنا عيسى بن مريم عليه السلام، دعا إلى الله ﷻ وحده ولكنهم أشركوا به. والمسيحيَّة ديانة وثنيَّة، لا نبىَّ لها والمعبود فيها عيسى بن مريم شركة مع إلهين آخرين هما: الآب، والروح القدس، وهذه الديانة بلَّغها الناسَ بنفسه إذْ تجسَّد الإله فى جسد بشرى، ونزل إلى الأرض، يكْرِز بها الناس ويعلِّمهم إيَّاها، ثمَّ افتداهم بنفسه، ومات من أجلهم، بحسب عقيدتهم.

---

(١) سورة المائدة ٥ : ١٤.

(٢) المفردات فى غريب القرآن ٤٩٥.

(٣) المسيحيُّون السوريُّون قديما وحديثا ٢٠.

وبسبب الاتفاق الواضح بين النصرانية والمسيحية ؛ فهما مترادفان، علما بأنَّ القرآن الكريم لم يعترف مطلقًا بالعقيدة المسيحيَّة، ولم يرد هذا اللفظ فيه أبدًا، ووَسَمَ معتنقى عقيدة تأليه المسيح والتثليث بالكفر الصريح، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1].

المبشرون والمنصِّرون والممسِّحون : يطلق الباحثون فى مقارنة الأديان على القسيسين والرهبان وغيرهم من المسيحيين العاملين فى مجال نشر عقيدتهم بين غير المسيحيين مصطلحى " المبشِّرين أو المنصِّرين "، ومصطلح المبشرين يجب إبعاده، والتخلِّى عنه ؛ لما يحمله من غش، وكذب، وخداع ؛ فهؤلاء العاملون فى حقل الدعوة إلى العقيدة المسيحيَّة يدعون إلى دين التثليث، وعبادة عيسى ؛ وتبيَّن لنا أنَّ المسيحيَّة والنصرانيَّة سواء لذلك فهم ممسِّحون ومنصِّرون، وليسوا مبشرين.

ولفظ " المبشِّرين " ليس لهم، وحرام إطلاقه عليهم ؛ لأنَّ البشرى من عند الله ﷻ ، ويبشِّر بها عباده المؤمنين والمتَّقين والصابرين، والمخبتين...وهى رسالة الله المبعوث بها أنبياؤه، قال تعالى : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[2].

وتكرَّر هذا المعنى فى أكثر من آية من آيات القرآن الكريم ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَمَا

---

(١) سورة المائدة ٥ : ٧٢ ـ ٧٣.

(٢) سورة البقرة ٢ : ٢١٣.

﴿نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].

والمبشِّر والبشير هو الرسول المبعث من الله تعالى، ويكاد هذا اللفظ أنْ يكون علمًا على رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ خاصَّة، قال تعالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[3].

وجمع الدكتور عبد الصبور مرزوق ثمانية وثلاثين موضعا من بين آيات القرآن الكريم تبيَّن أنَّ كلمتى: "البشير، والنذير" من صفات رسول الله ﷺ خاصَّة[4].

ولهذا اخترنا مصطلحى "ممسِّحين ومنصِّرين" بديلا عن مصطلح "المبشِّرين"؛ لأنَّهم دعاة عقيدة فاسدة، ودين وثنى.

العبرانيون، الإسرائيليون، قوم موسى، اليهود: أكثر المؤرخين والباحثين يستعملون هذه المصطلحات على أنَّها مترادفة، وأنَّ لكل منها نفس دلالة الآخرين تماما، ولكن من المؤكَّد أنَّ هذه المصطلحات الأربعة ليست مترادفة، وتدل على أربعة أقوام مختلفة، لا رابط بينها؛ فلا يجمعها عرق، أو عصر، أو تاريخ مشترك، أو وطن، أو عقيدة:

فالعبرانيُّون: هذا أقدم المصطلحات الأربعة، وأوَّلها ظهورا فى التاريخ، وإطلاقه على اليهود لا أصل له، ولم يطلق عليهم إلاَّ فى القرن الخامس عشر الميلادى؛ بل إنَّ الأسفار اليهوديَّة تتحدَّث عنهم بصفتهم غرباء عن اليهود، وليسوا منهم.

والإسرائيليون: يزعم اليهود أنَّهم ينتسبون إلى سيدنا يعقوب عليه السلام، ولقبوه إسرائيل، وهى كلمة عروبية قديمة أجمع العلماء على أنَّها غامضة المعنى، مجهولة

---

(١) سورة الأنعام ٦ : ٤٨.
(٢) سورة الإسراء ١٧ : ١٠٥.
(٣) سورة الفرقان ٢٥ : ٥٦.
(٤) معجم الأعلام والموضوعات فى القرآن الكريم ١ / ١٠٩ ـ ١١٠.

الأصل، ظهرت لأوَّل مرَّة فى الكتابات المصريَّة القديمة باعتبارها اسما لمدينة، أو قبيلة فى جنوب فلسطين.

وقوم موسى : هم المصريون الَّذين آمنوا برسالة سيِّدنا موسى عليه السلام، وخرجوا معه من مصر فرارا بدينهم من بطش فرعون، وترجع أصولهم إلى أعراق متعدِّدة هى الَّتى تكوَّن منها شعب مصر على طول تاريخه.

واليهود : استقرت جماعة من قوم موسى فى منطقة "يهوذا " الَّتى تحمل الاسم الكنعانى القديم، وتقع فى القسم الجنوبى من فلسطين، بين البحر الميت والبحر الأبيض المتوسط وفيها تأسست واحدة من المملكتين اللَّتين انقسمت إليهما مملكة سيِّدنا سليمان عليه السلام، ثم ذاع استعمال هذا الاسم بعد السبى البابلى نسبة إلى مملكة يهوذا المنقرضة.

جدول يبيِّن أوجه الخلاف بين المصطلحات التاريخية

	العبرانيون	الإسرائيليون	الموسويون	اليهود
الموطن	بادية الشام	منطقة حرَّان	مصر	فلسطين
تاريخ الظهور	قبل ٢٠٠٠ ق.م	نحو ١٧٠٠ ق.م	نحو ١٣٠٠ ق.م	نحو ١٢٠٠ ق.م
الأصل	أجناس متعددة منها العرب	عرب آراميون	جميع الأجناس الَّتى يتكوَّن منها شعب مصر	كنعانيون وموسويون وجنسيَّات أخرى
الدين	وثنيون	يعبدون " إيل " الله	عبدوا الله أيَّام موسى، ثم عبدوا " يهوه "	بعضهم يعبدون " يهوه " وأكثر الأقدمين منهم وثنيون عبدوا " بعل " وغيره من آلهة الكنعانيين، والمحدثون منهم أكثرهم كفَّار اتَّخذوا لهم إلها خاصا بهم
اللغة	السامية الأولى	الآرامية	المصرية القديمة	الآرامية واليونانية والعبرية ولغات أخرى

جدول تسلسل الأحداث

السنة قبل الميلاد	الحدث التاريخي
١٩٠٠ ـ ١٨٥٠	هجرة سيدنا إبراهيم الخليل من أور إلى فلسطين عن طريق حرَّان
١٧٨٥ ـ ١٥٨٠	حكم الهِكْسوس فى مصر
١٧٢٠	هجرة آل يعقوب إلى مصر فى عهد الهِكسوس
١٣٧٩ ـ ١٣٦٢	عهد أمنحوتب الرابع " إخناتون " الداعي إلى وحدانية الله
١٣٠٤ ـ ١٢٣٧	رمسيس الثانى، ومن المحتمل فى عهده خروج موسى عليه السلام وأتباعه من مصر، أو فى عهد ابنه مرنفتاح
١٢٩٠	خروج سيدنا موسى عليه السلام ومن آمن معه من مصر إلى سيناء
٧٣١	تجلات بلاسر الثالث ملك أشور يسبي اليهود إلى أشور" السبي الأول "
٥٨٦	نبوخذ نصر الكلداني يسبي اليهود إلى بابل " السبي الكبير "
٥٨٦ ـ ٥٣٩	فترة أسر اليهود فى بابل، وفيها بدأ الأحبار فى تأليف العهد القديم

جدول المصطلحات

المصطلح القديم المرفوض	المصطلح الجديد البديل
آية	مقولة
الأديان السماوية	**الرسالات السماوية**
الإنجيل	البشرى
التبشير	التمسيح ـ أو التنصير
التوراة	الأسفار اليهوديَّة
دين إبراهيم	رسالة إبراهيم أو ملَّة إبراهيم
دين عيسى	رسالة عيسى
دين محمد	رسالة محمد
دين موسى	رسالة موسى
الكتاب المقدس	الشريعة الخطيَّة
المبشر	الممسح ـ أو المنصر

ملاحظة هامَّة : يجب أنْ نحذر من الخلط بين المصطلحات الآتية :

العبرانيين، الإسرائيليين، قوم موسى، اليهود وسوف نوضِّح الفروق بينها، ودلالاتها فى الفصل الَّذى خصصناه لدراسة الأجناس البشرية.